

مختصر ابن كثير

- 161 - فإنكم وما تعبدون .
- 162 - ما أنتم عليه بفاتنين .
- 163 - إلا من هو صال الجحيم .
- 164 - وما منا إلا له مقام معلوم .
- 165 - وإنا لنحن الصافون .
- 166 - وإنا لنحن المسبحون .
- 167 - وإن كانوا ليقولون .
- 168 - لو أن عندنا ذكرا من الأولين .
- 169 - لكننا عباد الله المخلصين .
- 170 - فكفروا به فسوف يعلمون .
- يقول تعالى مخاطبا المشركين : { فإنكم وما تعبدون ... ما أنتم عليه بفاتنين ... إلا من هو صال الجحيم } أي إنما ينقاد لمقالتكم وما أنتم عليه من الضلالة والعبادة الباطلة من هو أضل منكم ممن ذرئ للنار { لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون } فهذا الضرب من الناس هو الذي ينقاد لدين الشرك والكفر والضلالة كما قال تبارك وتعالى { إنكم لفي قول مختلف ... يؤفك عنه من أفك } أي إنما يضل به من هو ما فوق ومبطل ثم قال تبارك وتعالى منزلها للملائكة مما نسبوا إليهم من الكفر بهم والكذب عليهم أنهم بنات الله : { وما منا إلا له مقام معلوم } أي له موضع مخصوص في السماوات ومقام العبادات لا يتجاوزه ولا يتعداه قال الضحاك : كان مسروق يروي عن عائشة B أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما من السماء الدينا موضع إلا عليه ملك ساجد أو قائم " فذلك قوله تعالى : { وما منا إلا له مقام معلوم } (أخرجه الضحاك في تفسيره ورواه ابن عساکر بنحوه وأصله في الصحاح .) . وقال الأعمش عن ابن عباس B قال : إن في السماوات لسماء ما فيها موضع شبر إلا عليه جبهة ملك أو قدماء ثم قرأ عبد الله B : { وما منا إلا له مقام معلوم } قال ابن جريج : كانوا لا يصفون في الصلاة حتى نزلت : { وإنا لنحن الصافون } فصفوا وقال أبو نضرة : كان عمر B إذا أقيمت الصلاة استقبل الناس بوجهه ثم قال : أقيموا صفوفكم استووا قياما يريد الله تعالى بكم هدي الملائكة ثم يقول : { وإنا لنحن الصافون } تأخر يا فلان تقدم يا فلان ثم يتقدم فيكبر " (رواه ابن أبي حاتم وابن جرير .) .

وفي صحيح مسلم عن حذيفة B قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " فضلنا على الناس بثلاث : جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الأرض مسجدا وتربتها طهورا " الحديث { وإنا لنحن المسبحون } أي نمطف فنسبح الرب ونمجده ونقدسه وننزهه عن النقائص فنحن عبيد له فقراء إليه خاضعون لديه وقال ابن عباس ومجاهد : { وما منا إلا له مقام معلوم } الملائكة { وإنا لنحن الصافون } الملائكة { وإنا لنحن المسبحون } الملائكة تسبح الله وقال قتادة : { وإنا لنحن المسبحون } يعني المصلون يثبتون بمكانهم من العبادة (الصحيح أن المراد به الملائكة وهو قول ابن عباس ومجاهد .) . وقوله جل وعلا : { وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين } أي قد كانوا يتمنون قبل أن تأتيهم يا محمد لو كان عندهم من يذكرهم بأمر الله وما كان من القرون الأولى ويأيتهم بكتاب الله كما قال جل جلاله : { وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا } وقال تعالى : { أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين } ولهذا قال تعالى ههنا : { فكفروا به فسوف يعلمون } وعيد أكيد وتهديد شديد على كفرهم بربهم D وتكذيبهم لرسوله صلى الله عليه وسلم